

الدار الشاملة
عطاء وبناء



عِشْرُ حِكْمٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



خالد أبو صالح

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب

الرياض - ص.ب. ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عِيشَ مُحَمَّدٍ ﷺ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المنتجبين، أما بعد: غير خاف على ذي عينين ما آل إليه حال الناس من الفتنة بالدنيا، والهلكة في طلبها، والغفلة عن طلب الآخرة، والسعي لها سعيها.

ومن أراد التخلص من هذه الفتنة العمياء، والمحنة النكراء؛ ليزكّو قلبه، وتشرقّ نفسه، فلينظر إلى معيشة النبي ﷺ، وهديه في التعامل مع المال، وتدبير أمور الحياة. لقد علم النبي ﷺ حقيقة الدنيا، فجعلها معبراً للآخرة، وعاش فيها عيش الغريب وابن السبيل، الذي هو في سير دائم، وسفر متواصل، لا يقرّ له قرار، ولا يستريح له بال، حتى يصل إلى وطنه الحقيقي، في بلاد الأفراح، حيث الأنهار والجنان، والحدود الحسان، ورب راض غير غضبان.

إنه ﷺ أعظم إنسان عرف حقيقة الوجود، فمات أغراضه، وسكنت اعتراضاته، فأثر في الدنيا عيش المساكين، يجوع يوماً فيصبر، ويشبع يوماً فيشكر.

فتح الله عليه الفتوح، وأجرى بين يديه كنوز الذهب والفضة، فأنفقها كلّها في سبيل الله، ولم يجعل لنفسه منها شيئاً، بل ظلّ على حاله من الرضى بالقليل، والقناعة باليسير، حتى اختاره الله تعالى إلى جواره.

كان ﷺ يعرفُ خطورة الفتنة بالدنيا فيقول: «اللهم

لا عيش إلا عيش الآخرة» (متفق عليه). ولذلك فقد جعل الآخرة همّة، وفرّغ قلبه عن هموم الدنيا، فأثّته الدنيا تركض، فكان يتحاشاها ويقول: «مالي والدنيا». وخاف النبي ﷺ على أمته بسطة الدنيا فقال: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم» (متفق عليه).

وبين ﷺ لأمته حقارة الدنيا فقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع؟» (رواه مسلم).

ودخل ﷺ السوق والناس على جانبيه، فمرّ بجدي أسك^(١) ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً أنه أسك، فكيف وهو ميت! فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» (رواه مسلم).

تلك نظرة النبي ﷺ إلى الدنيا، نظرة ترتقي بالنفس الإنسانية فوق حجب الشهوات الحسية، فتشرق بأنوار الهداية، وتزكو بالتفرغ للعبادة والخدمة. وإذا نظرنا في واقع معيشة النبي ﷺ علمنا أنه قد طبق تلك النظرة وعاشها واقعاً ملموساً على الأرض. قال عمرو بن الحارث أخو جويرية زوج النبي ﷺ: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي

(١) أسك: صغير الأذن.

كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» (رواه البخاري).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال علي، فكلَّته ففني» (متفق عليه). قال الترمذي: «شطر شعير» أي شيء من شعير. وذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي، ما يجد من الدُّقْل ما يملأ به بطنه» (رواه مسلم). والدقل: هو رديء التمر.

فراشه ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان فراش رسول الله ﷺ من أدم^(١) حشوه ليف».

نام ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فرآه ابن مسعود، فقال له: يا رسول الله! ألا آذنتنا، فنَبْسط تحتك ألينَ منه؟ فقال له ﷺ: «مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ، فقال تحت شجرة، ثم راح وتركها» (رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني).

قال أنس: دخلت على النبي ﷺ وهو على سرير مرمّل بالشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم، حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عمر، فانحرف رسول الله ﷺ، فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوباً، وقد أثر الشريط بجانب رسول الله ﷺ، فبكى

(١) الأدم: الجلد.

عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟» قال: والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله - عز وجل - من كسرى وقيصر، وهما يعبدان في الدنيا فيما يعبدان فيه، وأنت رسول الله ﷺ بالمكان أرى! فقال النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» قال عمر: بلى. قال ﷺ: «فإنه كذلك» (رواه أحمد وابن حبان).

لقد ضرب النبي ﷺ المثل بنفسه، فكان يهب هبات الملوك، ويعطي عطاء الواثق بربه، الذي لا يخشى الفقر، ثم يرجع إلى داره، فإذا فراشه الحصر وطعامه خبز الشعير.

لم يقل ﷺ: إن الإمام ينبغي أن تكون له هيئة بين الناس وأبهة، حتى يعظم شأنه وتزداد هيئته، بل قال ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» (متفق عليه).

والقوت هو ما يكف عن المسألة، ويقيم البدن دون الزيادة على ذلك.

ما جاء في ادِّخار النبي ﷺ

قال أنس رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

وأما ما جاء في الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم» فهذا حق أهل في النفقة، وكان ﷺ أعدى الناس، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» (رواه أحمد وأبو داود).

والقائل: «كفى إثماً أن تحبس عمن تملك قوته» (رواه مسلم). ولكن الدلائل تدل على أن النبي ﷺ

وأهل بيته كانوا ينفقون هذا القوت في سبيل الله ولا يدخروا منه شيئاً.

قال ابن حجر: (ومع كونه عليه السلام كان يحتبس قوت سنة لعياله، فكان في طول السنة ربما استجره منهم لمن يرد عليه، ويعوضهم عنه، ولذلك مات عليه السلام ودرعه مرهونة على شعير اقترضه قوتاً لأهله) (فتح: ٩/٤١٤).

ومما يدل على ذلك: حديث أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله عليه السلام قال: إني مجاهدٌ. فأرسل النبي عليه السلام إلى بعض نسائه. فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء...» (متفق عليه).

فهذه بيوت أزواج النبي عليه السلام كلها لا يوجد فيها طعام لرجل واحد، مما يدل على أن هذا القوت الذي كان يدخره عليه السلام لأهله، كان ينفق أيضاً في سبيل الله، وبذلك تألفت الأدلة ولا تتعارض. قال النووي: (هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة منها: ما كان عليه النبي عليه السلام وأهل بيته من الزهد في الدنيا، والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا) (شرح مسلم: ١٣/٢٤٠).

طعام النبي عليه السلام

كان النبي عليه السلام هيناً المؤونة، وكان يأكل من الطعام ما حضر، فلا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، وكان يأكل اللحم والإدام والخبز، غير أن أغلب حاله عليه السلام الزهد وعدم الشبع، لأنه عليه السلام كان ينفق ماله كله في سبيل الله،

حتى أنه ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة،
ولذلك كان كثيراً ما يبقى بلا مال ولا طعام ولا شيء.
تراه إذا ماجئته متهللاً

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه

لجاد بها فليتنق الله سائله

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من
خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض» (متفق عليه).

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول:
والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال،
ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات
رسول الله ﷺ ناراً!

قال عروة: يا خالة! فما كان يعيشكم؟

قالت: الأسودان: التمر والماء. إلا أنه قد كان
لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح.
وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ فيسقيناه!

فهذا رسول الله ﷺ، سيد الأولين والآخرين، الذي
أبى أن تحوّل له جبال مكة ذهباً، ليكون عبداً رسولاً؛
لا يوجد في بيته شربة لبن، حتى يهديها له بعض جيرانه
من الأنصار فيسقي أهله منها! رسول الله ﷺ كما
قال عنه أنس: «لم يأكل النبي ﷺ عن خوانٍ حتى
مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات» (رواه البخاري).

رسول الله ﷺ لم ير الخبز الأبيض حتى مات.

فقد قال سهل بن سعد رضي الله عنه: ما رأى رسول الله
ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه.

فقيل له: هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه. فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثريناه^(١). (رواه البخاري).

وعن أنس رضي الله عنه قال: رهن النبي ﷺ درعه بشعير، ومشيت إلى النبي ﷺ ببخبز شعير، وإهالة سَنَخَة^(٢)، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد صَاعٌ ولا أمسى» وإنهم لتسعة أبيات. (رواه البخاري).

وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما طعامنا إلا ورق الحَبْلَة^(٣)، حتى قرحت^(٤)» أشداقنا» (رواه مسلم).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سأل أهله الإدام. فقالوا: ما عندما إلا الخل. فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدمُ الخل» (رواه مسلم). قال جابر: فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله ﷺ.

جوع النبي ﷺ

-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع يا رسول الله! قال: «وانا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوما»، فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار،

(١) ثريناه: بللناه وعجنناه. (٢) إهالة سَنَخَة: شحم متغير الرائحة.

(٣) ورق الحبلَة: ثمر السمر.

(٤) قرحت أشداقنا: تجرحت أفواهنا.

فإذا هو ليس في بيته. فلما رأتها المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء. إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه فقال: الحمد لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافاً مني. فانطلق، فجاءهم بعذق^(١) فيه بُسر وتمر ورطب. فقال: كلوا. وأخذ المديّة، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والخلوب» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لتُسألنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» (رواه مسلم).

- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأمّ سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، هل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خميراً لها، فلفّت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت ثوبي، وردّني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد، ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم. فقال: «الطعام؟» فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «قوموا». فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أمّ سليم! قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ

(١) العذق: الغصن.

ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا. فقال رسول الله ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكَ يَا أُمُّ سَلِيمٍ». فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخَبْزِ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلِيمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ» (متفق عليه).

هكذا - أخي الكريم كانت معيشة النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وهكذا وصل إلينا هذا الدين العظيم على جسور من التضحيات والآلام والدماء والأشواك، عبر بطون خاوية، وقلوب طاهرة، ونفوس مشرقة، فقيبح بنا أن نضيع أمانة هذا الدين، أو نفرط في مسؤولية الدعوة والبلاغ؛ بالركون إلى الدنيا، والانغماس في شهواتها وملذاتها، والغفلة عن هدي النبي ﷺ في ترك التعلق بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة. فهذا - والله - من أعظم أسباب ضعف الأمة وتخلفها وتسليط الأعداء عليها كما قال النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عِدْوِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» فقال قائل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).